

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

/صفحة 299 / قوله تعالى: " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على ا يسير " ذكر ركن آخر من أركان كفر الوثنيين وهو إنكارهم الدين السماوي بإنكار المعاد إذ لا يبقى مع انتفاء المعاد أثر للدين المبني على الامر والنهي والحساب والجزاء ويصلح تعليلا لانكار الرسالة إذ لا معنى حينئذ للتبليغ والوعيد. والمراد بالذين كفروا عامة الوثنيين ومنهم من عاصر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) منهم كأهل مكة وما والاها، وقيل: المراد أهل مكة خاصة. وقوله: " قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم " أمر النبي (صلى ا عليه وآله وسلم) أن يجيب عن زعمهم أن لن يبعثوا، بإثبات ما نفوه بما في الكلام من أصناف التأكيد بالقسم واللام والنون. و " ثم " في " ثم لتنبؤن " للتراخي بحسب رتبة الكلام، وفي الجملة إشارة إلى غاية البعث وهو الحساب وقوله: " وذلك على ا يسير " أي ما ذكر من البعث والانباء بالاعمال يسير عليه تعالى غير عسير، وفيه رد لاحتالهم أمر البعث على ا سبحانه استبعادا، وقد عبر عنه في موضع آخر من كلامه بمثل قوله: " وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " الروم: 27. والدليل عليه ما عده في صدر الآيات من أسمائه تعالى وصفاته من الخلق والملك والعلم وأنه مسيح محمود، ويجمع الجميع أنه ا المستجمع لجميع صفات الكمال. ويظهر من هنا أن التصريح باسم الجلالة في الجملة أعني قوله: " وذلك على ا يسير " للايماء إلى التعليل، والمفاد أن ذلك يسير عليه تعالى لانه ا، والكلام حجة برهانية لا دعوى مجردة. وذكروا أن الآية الثالثة الآيات التي أمر ا نبيه (صلى ا عليه وآله وسلم) أن يقسم بربه على وقوع المعاد وهي ثلاث: إحداها قوله: " ويستنبؤنك أحق هو قل أي وربي " يونس: 53، والثانية قوله: " وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم " سبأ: 3، والثالثة الآية التي نحن فيها. قوله تعالى: " فآمنوا با ورسوله والنور الذي أنزلنا وا بما تعملون خبير " تفريع على مضمون الآية السابقة أي إذا كنتم مبعوثين لا محالة منبئين بما عملتم وجب عليكم أن تؤمنوا با ورسوله والنور الذي أنزله على رسوله وهو القرآن الذي يهدي بنوره الساطع إلى مستقيم الصراط، ويبين شرائع الدين.